

Doctrinal Issues Related to the Pillars of Heart-Based Worship and a Refutation of Opposing Views

[10.35781/1637-000-194-004](https://doi.org/10.35781/1637-000-194-004)

الباحث/ حجي يوسف واغي

الملخص

سابعا: يقرر البحث أن أركان العبادة الثلاثة متلازمة، وأن كمال العبودية لا يتحقق إلا باجتماعها وتوازنها؛ فالمحبة أصل العبادة، والخوف يحجز عن المعاصي، والرجاء يحفز على الطاعات. ثامنا: يتناول البحث مذاهب الناس في أركان العبادة، ويبين صور الانحراف الناتجة عن الغلو في أحد الأركان أو إهمال غيره، مع بيان ما يتعلق بذلك من انحرافات عقيدية وسلوكية.

تاسعا: يوضح البحث أن منهج أهل السنة والجماعة يقوم على الجمع بين المحبة والخوف والرجاء، وعدم إفراط أحدها عن الآخر، تحقيقا للتوازن والاعتدال الذي جاءت به نصوص الكتاب والسنة.

عاشرا: يخلص البحث إلى أن تحقيق أركان العبادة على منهج السلف الصالح من أسباب سلامة العقيدة وصلاح القلب واستقامة السلوك والثبات على الدين، وأن العبادة لها آثار تتجاوز الفرد إلى تزكية النفوس وإصلاح المجتمع وتحقيق الاستقرار.

الكلمات المفتاحية: عقيدة- أركان- العبادة- أهل السنة- مخالفون.

أولا: تناول هذا البحث المباحث العقيدية المتعلقة بأركان العبادة والرد على المخالفين فيها، من خلال بيان مفهوم العبادة وحقيقتها ومكانتها في الإسلام. ثانيا: يهدف البحث إلى بيان مفهوم العبادة، والتعريف بأركانها الثلاثة، وبيان مكانة كل ركن وأثره في تحقيق العبودية لله تعالى، مع إبراز العلاقة بين المحبة والخوف والرجاء.

ثالثا: يبين البحث أن العبادة في الإسلام مفهوم شامل، يدخل فيه كل ما يحبه الله تعالى ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة.

رابعا: يتناول البحث شروط قبول العبادة، وهي الإسلام، والإخلاص لله تعالى، والمتابعة للنبي صلى الله عليه وسلم، ويبين أهمية اجتماع هذه الشروط في صحة العبادة وقبولها.

خامسا: يوضح البحث منزلة العبادة في الإسلام وآثارها في حياة المسلم، وما يترتب عليها من صلاح القلب واستقامة السلوك والثبات على الدين.

سادسا: يركز البحث على أركان العبادة الثلاثة، وهي المحبة والخوف والرجاء، ويبين حقيقة كل ركن وأثره في تحقيق العبودية لله تعالى.

Doctrinal Issues Related to the Pillars of Heart-Based Worship and a Refutation of Opposing Views

Researcher/ HAJI YUSUF WAGGEH

Abstract

This study examines the doctrinal issues related to the pillars of worship, with particular attention to clarifying their proper understanding and addressing views that deviate from the creed of Ahl al-Sunnah wa al-Jama'ah. It begins by defining worship, explaining its essential nature, and highlighting its central status in Islam.

The study aims to clarify the concept of worship and to identify its three fundamental pillars: love, fear, and hope. It further explains the significance of each pillar, its role in realizing servitude to Allah Almighty, and the interrelationship among these three elements.

The study establishes that worship in Islam is a comprehensive concept encompassing all inward and outward words and deeds that Allah Almighty loves and is pleased with. It also discusses the conditions for the acceptance of worship, namely Islam, sincerity to Allah Almighty, and conformity to the teachings and example of the Prophet Muhammad (peace and blessings be upon him), emphasizing that these conditions must be fulfilled collectively for worship to be valid and accepted.

The study also explores the status of worship in Islam and its effects on the life of the Muslim, particularly in relation to purification of the heart, upright conduct, and steadfastness in religion. Special attention is given to the three pillars of worship—love, fear, and hope—by explaining the nature and

function of each. The study argues that these pillars are inseparably interconnected and that complete servitude to Allah cannot be realized without their proper combination and balance. Love constitutes the foundation of worship, fear restrains the believer from disobedience, and hope motivates the performance of acts of obedience.

Furthermore, the study examines the various approaches adopted regarding the pillars of worship and analyzes forms of deviation arising from excessive emphasis on one pillar or the neglect of another, together with the doctrinal and behavioral consequences of such imbalance. It demonstrates that the methodology of Ahl al-Sunnah wa al-Jama'ah is founded upon the integration of love, fear, and hope without separating one from the others, thereby reflecting the balanced approach established by the Qur'an and the Sunnah.

The study concludes that realizing the pillars of worship in accordance with the methodology of the righteous predecessors (al-Salaf al-Salih) is among the means of preserving sound creed, purifying the heart, maintaining upright conduct, and remaining steadfast in religion. It further concludes that the effects of worship extend beyond the individual, contributing to spiritual purification, social reform, and societal stability.

Keywords: Islamic Creed; Worship; Pillars of Worship; Ahl al-Sunnah wa al-Jama'ah; Doctrinal Deviations.

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾⁽¹⁾

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾⁽²⁾

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾⁽³⁾

أما بعد :

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

ثم أما بعد: فإن للعبادة في الإسلام منزلة عالية ومكانة رفيعة، وهي الغاية التي من أجلها خلق الثقلين- الجن والإنس- وبها ينال العبد رضى الله تبارك وتعالى، والفوز بدخول الجنة، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: 56].

والعبادة بمفهومها العام تشمل جميع ما يفعله العبد المؤمن بجوارحه، وما يقوله بلسانه وبنوويه بقلبه، مما شرعه الله تبارك وتعالى.

ولما كانت العبادة لا يجوز أن نأخذها من استحساننا أو تقليداً للجماعة الفلانية، فقد أرسل الله إلينا رسلاً يبينون لنا كيف نعبد تبارك وتعالى؛ لأن العبادة توقيفية لا يجوز أن نعبد الله إلا بما شرعه، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: «قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من أحدث في أمرنا هذا ما ليس فيه فهو رد"»⁽⁴⁾.

(1) سورة آل عمران الآية: 102

(2) سورة النساء الآية: 1

(3) سورة الأحزاب الآية: 70 - 71

(4) صحيح البخاري (3/ 540).

وقد بعث الله نبينا محمدا ﷺ بإخلاص العبادة له تبارك وتعالى وتحرير الخلق من الخضوع والذل للمعبودات الباطلة دون الله عز وجل.

وقد بلغ نبينا محمد ﷺ البلاغ المبين، وأدى الأمانة، ونصح الأمة، ووضح للعباد كيف يعبدون ربهم تبارك وتعالى، قال تبارك وتعالى: ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [النحل: 44] وتركهم على المحجة البيضاء، ليها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك.

وقد دلت نصوص الكتاب والسنة على أن العبادة ليست مجرد أعمال ظاهرة، بل تقوم على أصول قلبية عظيمة، هي: المحبة، والخوف، والرجاء، وهي الأركان التي يقوم عليها سير العبد إلى ربه، فلا تتحقق العبودية الكاملة إلا باجتماعها، ولا يستقيم إيمان العبد إذا غلب جانباً منها على الآخر. ولما كان الانحراف في فهم هذه الأركان سبباً لظهور عدد من الانحرافات العقدية والسلوكية عند بعض الفرق، برزت الحاجة إلى دراسة هذا الموضوع، وبيان حقيقته في ضوء الكتاب والسنة، وفق فهم سلف الأمة، مع إبراز منهج أهل السنة والجماعة في هذا الباب، والرد على أبرز الانحرافات المتعلقة به.

وحيث إن العبد قد تجتاله شياطين الإنس والجن فينحرف عن الغاية التي من أجلها خلق، كانت الحاجة ملحة إلى تذكير دائم بهذه المهمة ألا وهي العبادة.

وما أحوجنا إلى العبادة في هذا الزمن التي كثرت فيها الفتن والمغريات؛ ومن أعظم الأسباب التي تقي العبد شر الفتن وتحفظه من سوء عاقبتها، الاعتصام بالله تبارك وتعالى، والفرار إليه بعبادته ودعائه واستغفاره.

فصار الأمر بحاجة إلى تذكير دائم بالعبادة وأركانها التي تبني عليها في كل وسيلة تذكير ممكنة، وأهمها الوسائل الثقافية.

وهذا بحث علمي مختصر في أركان العبادة مدعماً بالدليل من الكتاب والسنة، ومؤيداً بفهم السلف وعلماء الأمة، لعل الله أن يحقق به الغرض لطالبي الحق في هذا الباب.

وقد سميته: ((المباحث العقدية المتعلقة بأركان العبادة والرد على المخالفين في ذلك))

استعنت بالله تبارك وتعالى وكتبته رجاء نفع المسلمين، وقد أردته مختصراً يأخذ بأطراف أهم المسائل في الموضوع، وجمعته سعياً لمراعي، فإن حصل فله الحمد والمنة، وإن حصل غير ذلك فمن قصر الباع وقلة البضاعة.

أهمية البحث

تكمن أهمية هذا البحث في أمور، من أبرزها:

- 1- أن موضوع العبادة يتعلق بأعظم مقاصد الدين، وهو تحقيق توحيد الله تعالى.
- 2- إبراز منزلة أعمال القلوب، وبيان أثرها في صحة العبادة وكمالها.
- 3- بيان حقيقة أركان العبادة كما قررها أهل السنة والجماعة.
- 4- الرد على أبرز الانحرافات التي وقعت في هذا الباب عند بعض الفرق.
- 5- إبراز الأثر الإيماني والتربوي لأركان العبادة في حياة المسلم.

أسباب اختيار الموضوع:

ومن أهم الأسباب التي دفعت إلى اختيار هذا الموضوع:

- 1- عظم شأن العبادة في الإسلام، وارتباطها بأصل الدين.
- 2- الحاجة إلى بيان العلاقة بين المحبة والخوف والرجاء، وأثرها في تحقيق العبودية.
- 3- انتشار بعض المفاهيم غير الدقيقة حول العبادة وأعمال القلوب.
- 4- الرغبة في جمع النصوص الشرعية وكلام أهل العلم في هذا الباب، وتقريبها لطلاب العلم.

أهداف البحث:

يسعى هذا البحث إلى تحقيق جملة من الأهداف، من أهمها:

- 1- بيان مفهوم العبادة في الإسلام.
- 2- التعريف بأركان العبادة الثلاثة.
- 3- بيان مكانة كل ركن وأثره في تحقيق العبودية.
- 4- إبراز العلاقة بين المحبة والخوف والرجاء.
- 5- بيان منهج أهل السنة والجماعة في هذا الباب.
- 6- الرد على أبرز الانحرافات المتعلقة بأركان العبادة.

منهج البحث:

اعتمد الباحث في هذا البحث على:

- أ- المنهج الاستقرائي، باستقراء النصوص الشرعية وأقوال أهل العلم المتعلقة بالموضوع.
 - ب- المنهج التحليلي، في تحليل النصوص وبيان دلالاتها.
 - د- المنهج المقارن عند الحاجة، في بيان الفرق بين منهج أهل السنة ومنهج المخالفين.
- كما حرص الباحث على عزو الآيات إلى مواضعها، وتخريج الأحاديث، والرجوع إلى المصادر الأصلية، والاعتماد على أقوال أهل العلم المعبرين.

الدراسات السابقة

من خلال اطلاع الباحث على ما تيسر من المؤلفات، تبين وجود كتب ورسائل تناولت موضوع العبادة أو أعمال القلوب أو التوحيد، إلا أنها غالباً تعالج جانباً معيناً من الموضوع، أو تذكر أركان العبادة ضمن مباحث أخرى، ولم يقف الباحث على دراسة أفردت أركان العبادة الثلاثة بالبحث، مع بيان حقيقتها، والعلاقة بينها، وآثارها، ومذاهب الناس فيها، على النحو الذي اشتمل عليه هذا البحث.

خطة البحث:

اقتضت طبيعة البحث أن يكون في خمسة مباحث:

المبحث الأول: مفهوم العبادة، وتعريفها، وشروطها.

المبحث الثاني: أنواع العبادة وأقسامها.

المبحث الثالث: منزلة العبادة في الإسلام وآثارها.

المبحث الرابع: أركان العبادة، وهي المحبة والخوف والرجاء، وبيان حقيقتها والعلاقة بينها.

المبحث الخامس: مذاهب الناس في أركان العبادة، وبيان مذهب أهل السنة والجماعة، والرد على المخالفين.

وأسأل الله تعالى أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، وأن ينفع به كاتبه وقارئه، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

والله تعالى هو المسؤول كما يسر هذا البحث وأعان عليه أن يجعله خالصاً لوجهه، وأن ينفع به من يطلع عليه من خلقه.

كتبه: حجي يوسف واغي- بالمدينة النبوية- 23 / 1 / 1448هـ.

المبحث الأول: تعريف العبادة لغة واصطلاحاً

أولاً: تعريف العبادة لغة.

معنى العبادة لغة: الذل والخضوع، يقال: عبَّده: ذلَّه. وعبَّد الطريق.

ويقال: عبد الله عبادةً أي: انقاد له، وخضع، وذل⁽¹⁾.

ثانياً: العبادة شرعاً:

وللعلماء في تعريف العبادة شرعاً عدة تعريفات، ولعل من أجمع تلك التعريفات وأشملها أنها «اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه، من الأقوال والأعمال والباطنة والظاهرة»⁽²⁾.

وهي لا بد أن تتضمن كمال الذل والخضوع وغاية المحبة لله تبارك وتعالى، فإذا خلت العبادة من كمال الذل وغاية المحبة لم تكن عبادة، لا بد فيها من «التذل لله تبارك وتعالى محبة وتعظيماً، بفعل أو أمره واجتتاب نواهيه، على الوجه الذي جاءت به شرائعه»⁽³⁾.

وقد أشار إلى هذا المعنى الإمام ابن القيم بقوله:

وعبادة الرحمن غاية حبه مع ذلِّ عابده، هما قطبان⁽⁴⁾.

إذا فالعبادة- في الشرع- عبارة عما يجمع كمال المحبة، والخضوع، والخوف؛ فاستكمال هذه الثلاثة لله تعالى فيكون عابده تعالى، وموحداً.

ومن أحب مع غير الله مثل حبه تعالى، أو خضع لغير الله مثل الخضوع له تعالى، أو خاف من غير الله كالخوف منه تعالى، فقد أشرك معه تعالى غيره في العبادة؛ فمن يذبح أولاده في محبة الأولياء، ويجعلونهم نذراً لهم، ويخضعون عند قبورهم ما يخضعون مثله في المساجد لله تعالى؛ كما لا يخفى ذلك على أحد، أو يخاف من الأولياء فوق الأسباب من وصول الضرر بقطع الأشجار عن أيكتهم، أو بالصيد في أشجارهم، فهو مشرك بالله في العبادة، أعاذنا الله تعالى منه.

ولكي تكون العبادة مقبولة عند الله تبارك وتعالى لا بد من توفر شروط قبول العمل الصالح

فيها.

(1) انظر: العبودية لشيخ الإسلام ابن تيمية (ص: 22)، أساس البلاغة للزمخشري (ص: 406).

(2) العبودية لشيخ الإسلام ابن تيمية (ص: 23).

(3) مجموع فتاوى الشيخ محمد بن عثيمين (2/ 25).

(4) انظر: النونية مع شرح محمود خليل الهراس (1/ 95).

ويمكن توضيح هذا المبحث في المطالب الآتية:

المطلب الأول: الفرق بين العبادة والطاعة.

قد يلتبس على بعض الناس مفهوم العبادة بمفهوم الطاعة، مع وجود علاقة وثيقة بينهما، إلا أن بينهما فرقاً من جهة العموم والخصوص.

فإطاعة هي: امتثال الأمر، والانقياد للأمر به، سواء كان ذلك على سبيل الوجوب أو الاستحباب، وهي تشمل امتثال أوامر الله تعالى وأوامر رسوله ﷺ، كما تشمل طاعة ولاية الأمور والوالدين وغيرهم فيما أذن الله فيه.

أما العبادة: فهي أخص من ذلك؛ إذ لا تكون عبادة إلا إذا قصد بها وجه الله تعالى، مع كمال المحبة والخضوع والذل له سبحانه، وكانت موافقة لما جاء به الرسول ﷺ.

وبهذا يظهر أن كل عبادة طاعة، وليس كل طاعة عبادة؛ لأن الطاعة قد تكون عادة أو معاملة أو امتثالاً لأمر مباح، أما العبادة فلا بد فيها من قصد التقرب إلى الله عز وجل، ولهذا قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «العبادة اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة»⁽¹⁾

فالفرق بينهما أن الطاعة تتعلق بمجرد الامتثال، أما العبادة فتتعلق بالامتثال مع قصد التعبد والتقرب إلى الله تعالى.

المطلب الثاني: الفرق بين العبادة والعادة.

من محاسن الشريعة الإسلامية أنها فرقته بين العبادة والعادة، مع إمكان انتقال العادة إلى عبادة إذا استوفت شروطها.

فإلعادة هي: ما اعتاده الإنسان في معاشه وحياته من مأكّل ومشرب وملبس ونوم وعمل وتجارة وغيرها، والأصل في العادات الإباحة حتى يدل الدليل على المنع.

أما العبادات فالأصل فيها التوقيف، فلا يشرع منها شيء إلا بدليل صحيح من الكتاب أو السنة⁽²⁾.

ولهذا قرر العلماء قاعدة عظيمة، وهي: الأصل في العبادات المنع حتى يرد الدليل، والأصل في العادات الإباحة حتى يرد الدليل.

(1) العبودية لشيخ الإسلام ابن تيمية (ص: 23).

(2) ينظر: مجموع الفتاوى (16/29-18)، والموافقات للشاطبي (300/2-302).

ومن هنا كان الابتداع في العبادات مذمومًا؛ لأن العبادات حق لله تعالى لا يشرع منها إلا ما شرعه سبحانه، بخلاف العادات فإن الشريعة جاءت بالتوسعة فيها.

وقد بين الإمام الشاطبي رحمه الله أن العبادات مبناهما على الاتباع المحض، بخلاف العادات فإنها مبنية على مراعاة مصالح العباد⁽¹⁾.

المطلب الثالث: ضابط تحول العادات إلى عبادات:

من رحمة الله تعالى بعباده أن جعل كثيرًا من أعمالهم اليومية تتحول إلى عبادات يثابون عليها إذا صحت النية.

فالأكل والشرب والنوم والعمل والتجارة، بل ومعاشرة الزوجة، قد تكون من أجل العبادات إذا قصد بها التقوي على طاعة الله تعالى.

وقد قال النبي ﷺ: (وفي بضع أحدكم صدقة)⁽²⁾.

وفي هذا أعظم دليل على أن المباحات تتحول إلى قربات بالنية الصالحة.

النية الصالحة تجعل العادات عبادات، كما أن النية الفاسدة قد تجعل المباحات معاصي.

ولهذا كان السلف الصالح يستحضرون النية في أدق أمورهم، حتى قال بعضهم:

«إني لأحتسب نومتي كما أحتسب قومتي»⁽³⁾. يعني: أنه ينوي بنومه التقوي على القيام في آخر الليل، فيحتسب ثواب نومه كما يحتسب ثواب قيامه.

ومن هنا يتبين أن المسلم يستطيع أن يجعل حياته كلها عبادة إذا صح قصده، ووافق عمله هدي النبي ﷺ.

المطلب الرابع: الحكمة من مشروعية العبادة.

شرع الله تعالى العبادة لحكم عظيمة ومقاصد جليلة، من أهمها:

أولاً: تحقيق توحيد الله تعالى، وهو الغاية التي من أجلها خلق الخلق، كما قال سبحانه:

﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾⁽⁴⁾.

(1) الموافقات (2/292-302).

(2) أخرجه مسلم في صحيحه - كتاب الزكاة - باب بيان أن اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف (2 / 158) برقم: (720)

(3) جامع العلوم والحكم (2 / 193).

(4) سورة الذاريات: 56

ثانياً: تزكية النفوس وتطهير القلوب من أدران الشرك والرياء وسائر الأمراض القلبية، فالعبادة الحقّة تثمر خشية الله ومراقبته.

ثالثاً: تحقيق العبودية الكاملة لله تعالى، وذلك بإظهار الافتقار إليه، والاعتراف بربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته.

رابعاً: إصلاح الفرد والمجتمع؛ فإن العبادة الصحيحة تنهى عن الفحشاء والمنكر، وتغرس مكارم الأخلاق، وتربي المسلم على الصدق والأمانة والإحسان.

خامساً: تحقيق السعادة في الدنيا والآخرة؛ لأن حياة القلب لا تكون إلا بعبادة الله تعالى، وكلما ازداد العبد عبادة ازداد طمأنينة وسكينة.

وقد قال ابن القيم رحمه الله: «في القلب فاقة لا يسدها إلا عبادة الله، وفيه وحشة لا يزيلها إلا الأنس به»⁽¹⁾.

ومن تأمل نصوص الكتاب والسنة وجد أن جميع العبادات ترجع إلى تحقيق هذه المقاصد العظيمة، ولهذا كانت العبادة أشرف ما يتقرب به العبد إلى ربه سبحانه وتعالى.

وبعد فقد دلت الأدلة الشرعية على أن الأعمال الصالحة يتوقف قبولها على توفر ثلاثة شروط فيها: الإسلام، والإخلاص، والمتابعة.⁽²⁾

وهذه الشروط الثلاثة هي المذكورة في قول الله تبارك وتعالى ﴿وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا﴾⁽³⁾

فاشترط جل وعلا ثلاثة شروط لقبول العبادة، وهي: إرادة الدار الآخرة، وهي الإخلاص، وأن يسعى العامل السعي المطلوب منه، وهذا هو متابعة الشرع، وأن يكون العامل مؤمناً.⁽⁴⁾ ويمكن بيان هذه الشروط في المسائل الآتية:

المسألة الأولى: مع الشرط الأول: الإيمان:

الإيمان شرط أساسي لقبول الأعمال، ولكي تكون العبادة مقبولة؛ فلا بد أن يكون العامل مؤمناً، وقد دلت الأدلة على اشتراط الإيمان في قبول العمل، منها:

(1) إغاثة اللهفان في مصادب الشيطان (1/ 118).

(2) انظر: أضواء البيان للشنقيطي (3/ 321).

(3) سورة الإسراء: 19

(4) انظر: المصدر السابق (3/ 338).

قوله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أَنَّىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (1)

وقوله: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِّن ذَكَرٍ أَوْ أَنَّىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا﴾ (2) فقوله تعالى: ﴿وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾

«وهو شرط لجميع الأعمال؛ لا تكون صالحة ولا تقبل ولا يترتب عليها الثواب ولا يندفع بها العقاب إلا بالإيمان، فالأعمال بدون إيمان، كأغصان شجرة قطع أصلها، وكبناء يبنى على موج الماء، فالإيمان هو الأصل والأساس والقاعدة التي يبنى عليه كل شيء، وهذا القيد ينبغي التفطن له في كل عمل أطلق فإنه مقيد له» (3)

والمراد بالإيمان هاهنا أصل الإيمان الذي به يدخل العبد في دائرة الإسلام.

المسألة الثانية: مع الشرط الثاني: الإخلاص:

وذلك بأن يكون العمل خالصاً لوجه الله تبارك وتعالى، وقد دلت الأدلة الشرعية على اشتراط الإخلاص في قبول العمل، منها:

قوله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ (4)

«وهذان ركنا العمل المتقبل لا بد أن يكون صواباً خالصاً، فالصواب أن يكون على السنة واليه الإشارة بقوله: ﴿فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا﴾. والخالص: أن يخلص من الشرك الجلي والخفي واليه الإشارة بقوله: ﴿وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ (5)

وقوله تعالى: ﴿فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾ (6). وقوله: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ (7)

(1) سورة النحل: 97

(2) سورة النساء: 124

(3) تفسير السعدي (ص: 205).

(4) سورة الكهف: 110

(5) تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد (ص: 453)

(6) سورة الزمر: 2

(7) سورة البينة: 5

وقال عليه الصلاة والسلام: (إنما الأعمال بالنيات)⁽¹⁾.

وجاء عن الفضيل بن عياض أنه قال في قوله تعالى: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾⁽²⁾
«أخلصه وأصوبه فإنه إذا كان خالصاً ولم يكن صواباً لم يقبل وإذا كان صواباً ولم يكن خالصاً لم يقبل حتى يكون خالصاً والخالص إذا كان لله والصواب إذا كان على السنة»⁽³⁾
فإن النية هي تتحكم في الأعمال، وتقلبها إلى عبادة.

المسألة الثالثة: مع الشرط الثالث: المتابعة:

وذلك بأن تكون أعمال العبد التي يتقرب بها إلى الله تبارك وتعالى على منهاج رسول الله ﷺ،
ووفق أمره وهديه القويم: «لأن الله فرض علينا أن نقيم دينه بالشريعة التي بعث بها رسوله ﷺ، إذ لا يقبل
منا أن نعبد بـشريعة غيرها»⁽⁴⁾.

وقد دلت الأدلة الشرعية على اعتبار هذا الشرط وأن الأعمال لا اعتبار لها إلا إذا كانت على
الوجه الذي بينه الشرع، منها:

قوله تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾⁽⁵⁾

وقوله ﷺ (من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد)⁽⁶⁾

(1) أخرجه البخاري في صحيحه - بدء الوحي - باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله (1 / 6) برقم: (1)، ومسلم في صحيحه -
كتاب الإمارة - باب قوله صلى الله عليه وسلم إنما الأعمال بالنية (6 / 48) برقم: (1907) (1).

(2) سورة هود: 7

(3) أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء (8/95).

(4) مجموع فتاوى ابن تيمية (26 / 26).

(5) سورة الحشر: 7

(6) أخرجه البخاري في صحيحه - كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة - باب إذا اجتهد العامل أو الحاكم فأخطأ (3 / 77) برقم: (2201).

المبحث الثاني: بيان أنواع العبادة

من فضل الله تبارك وتعالى على عباده أن شرع لهم عبادات متنوعة ومتعددة لتشمل حياة العبد المؤمن كلها. ولم يقتصرها على العبادات المخصوصة فحسب؛ بل جعلها شاملاً لأعمال أخرى كثيرة. فإذا نوى الإنسان أكله وشرابه التقوي على طاعة الله تبارك وتعالى أُجر عليه. وحتى إتيان الرجل امرأته يؤجر عليه؛ لأن فيه الكف عن معصية الله تبارك وتعالى ابتغاء مرضاته. والنية الحسنة وحدها. ولو لم يصاحبها عمل. فإن الإنسان يؤجر عليها. ومن هنا يلاحظ أن العبادة اسم جامع لكل ما أمر الله عز وجل به، سواء أكان أمراً إيجابياً أم أمراً سلبياً، ومعنى الأمر الإيجابي طلب الفعل، ومعنى الأمر السلبي طلب الترك، فيدخل في هذا كل حياة الإنسان. ولهذا تلاحظ أيها القارئ الكريم أن الإنسان في تكوينه إما أن يفعل وإما أن يترك، وليس للإنسان في ذلك شيء آخر، فإما أن يفعل الفعل وإما أن يتركه، فالأفعال التي يفعلها الإنسان هي عبادة يتقرب بها إلى الله عز وجل، وأما التروك التي يتركها الإنسان فإذا قصد بها العبادة فهي عبادة، ويدل على أن العبادة تشمل حياة الإنسان كله أن الإنسان كائن بشري يتحرك في الوجود بأعضائه، والعبادة تشمل جميع أعضاء الإنسان، فهي تشمل حركات البدن الظاهرة، كحركة اليدين والرجلين، فيدخل في هذا القتال في سبيل الله، وهو من أفضل القربات وأفضل العبادات عند الله سبحانه وتعالى، ويدخل في هذا حركة اللسان، فمن العبادات أن يقرأ المرء القرآن وأن يسبح وأن يدعو إلى الله عز وجل، وأن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، ويدخل في هذا عبادات القلب، مثل الخوف من الله والرجاء والتوكل والإنابة والرغبة والرهبة وغير ذلك، ويدخل في ذلك النظر، ولهذا تجد أن الأحكام الشرعية متعلقة بجميع أعضاء الإنسان، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾⁽¹⁾ فهو مسئول عن هذه الأشياء جميعاً... فالحاصل أن أعمال الإنسان كلها عبادة إذا اجتمعت فيها شروط قبول العمل السابق ذكرها في المبحث الأول.

والحديث عن أنواع العبادة يكون في مطلبين رئيسين:

المطلب الأول: العبادة البدنية، وهي ثلاثة أقسام:

القسم الأول: عبادات قلبية: وهي كل ما في القلب من التقرب إلى الله عز وجل فإنه عبادة، كالخوف والرجاء والخشية والرغبة والرهبة والتوكل والإنابة والاستعانة، والصبر على أوامره ونواهيه وأقداره، كل هذه أعمال قلب، والنية الصادقة لله عز وجل، كل ما في القلوب من هذه الأنواع فهو عبادة.

(1) سورة الإسراء: 36

وقد دلت الأدلة الشرعية على هذا النوع من العبادة، منها:

قوله تعالى: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾⁽¹⁾ وقوله: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾⁽²⁾ وقوله: ﴿وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلُمُوا لَهُ﴾⁽³⁾

القسم الثاني: عبادات قولية: وهي كل أقوال اللسان المشروعة من ذكر الله فإنها عبادة، كالتمسيح والذكر والتهليل، وقراءة القرآن، والدعاء إلى الله تبارك وتعالى، وأجلها النطق بالشهادتين.

وقد دلت الأدلة على هذا النوع من العبادة، منها:

قوله تعالى: ﴿أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾⁽⁴⁾ وقوله صلى الله عليه وسلم: (أحب الكلام إلى الله أربع: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر)⁽⁵⁾

القسم الثالث: ما تقوم به على الجوارح: مثل الركوع والسجود، والجهد في سبيل الله، والهجرة، ونقل الأقدام إلى المساجد، كل هذه عبادات تقوم بالجوارح.

وقد دلت الأدلة الشرعية على هذا النوع من العبادات، منها:

قوله تعالى: ﴿يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾⁽⁶⁾ وقوله تعالى: ﴿يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾⁽⁷⁾

المطلب الثاني: عبادات مالية: مثل إخراج الزكاة، والإنفاق في سبيل الله،

وهو الإنفاق في الجهاد، وكذلك الحج يتكون من عبادة بدنية وعبادة مالية؛ فمثلاً أداء المناسك من: طواف وسعي ورمي جمار والوقوف بعرفة عبادة بدنية، أما الإنفاق فيه فهو عبادة مالية؛ لأن الحج يحتاج إلى نفقة وزاد.

(1) سورة آل عمران: 175

(2) سورة المائدة: 32

(3) سورة الزمر: 54

(4) سورة النحل: 125

(5) أخرجه مسلم في صحيحه- كتاب الآداب- باب كراهة التسمية بالأسماء القبيحة وبنافع ونحوه (6 / 171) برقم: (2136).

(6) سورة الحج: 77

(7) سورة الجمعة: 9

وقد دلت الأدلة على هذا النوع من العبادات، منها:

قوله تعالى: ﴿وَأَقِمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ يَحْدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ﴾⁽¹⁾

وقوله: ﴿وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ﴾⁽²⁾.

المطلب الثالث: تقسيم العبادة باعتبار حكمها الشرعي

يمكن تقسيم العبادة باعتبار حكمها الشرعي إلى قسمين:

القسم الأول: العبادات الواجبة

وهي العبادات التي أوجبها الله تعالى على عباده، ورتب على فعلها الثواب وعلى تركها العقاب.

ومن أمثلتها: الصلوات الخمس، وصيام رمضان، والزكاة، وحج بيت الله الحرام لمن استطاع إليه سبيلاً، وبر الوالدين، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بحسب الاستطاعة.

وهذه العبادات هي أحب الأعمال إلى الله تعالى؛ لما ثبت في الحديث القدسي أن الله تعالى قال: «وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه»⁽³⁾.

والقيام بالفرائض هو أساس السير إلى الله تعالى، ولا تقوم النوافل مقامها.

القسم الثاني: العبادات المستحبة

وهي ما طلب الشارع فعلها من غير إلزام.

ومن أمثلتها: قيام الليل، صيام النوافل كأيام البيض وصيام الاثنين والخميس، والصدقات المستحبة، والأذكار المطلقة، السنن الرواتب.

وهذه العبادات تكمل الفرائض وتجبر ما قد يقع فيها من نقص، كما أنها سبب لرفعة الدرجات وزيادة القرب من الله سبحانه وتعالى.

المطلب الرابع: تقسيم العبادة باعتبار نفعها

تتقسم العبادة باعتبار أثرها ونفعها إلى قسمين:

القسم الأول: العبادات القاصرة: وهي التي يقتصر نفعها على فاعلها غالباً.

ومن أمثلتها: الصلاة والصيام، والذكر، وقراءة القرآن.

(1) سورة البقرة: 110

(2) سورة التوبة: 20

(3) أخرجه البخاري في صحيحه - كتاب الرقاق - باب التواضع (8 / 105) برقم: (6502)

فهذه العبادات ينتفع بها صاحبها ابتداءً.

القسم الثاني: العبادات المتعدية: وهي التي يتجاوز نفعها صاحبها إلى غيره من المسلمين.

ومن أمثلتها: تعليم العلم الشرعي، والدعوة إلى الله، والصدقة، وقضاء حوائج المسلمين، والإصلاح بين الناس.

ولهذا كانت العبادات المتعدية النفع من أعظم القربات؛ لما يترتب عليها من مصالح عامة.

وقد كان السلف رحمهم الله يعتقدون بهذا النوع من العبادة عناية عظيمة؛ لما فيه من الجمع بين مصلحة العبد ومصلحة المجتمع.

المطلب الخامس: أثر النية في تنوع العبادات النية من أعظم أبواب العبودية، بل هي أساس قبول الأعمال وصلاحتها.

فقد دل حديث عمر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: (إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى)⁽¹⁾.

والنية لها أثر ظاهر في جميع أنواع العبادات، فقد يتحول العمل الواحد إلى طاعة عظيمة بسبب النية الصالحة، وقد يفقد أجره بسبب فساد القصد.

فطلب العلم مثلاً قد يكون عبادة وقربة إذا قصد به وجه الله تعالى، وقد يكون سبباً للوعيد إذا قصد به الرياء أو الشهرة.

وكذلك الإنفاق، والدعوة، والتعليم، وسائر الأعمال.

ومن هنا كان السلف يعتقدون بإصلاح النيات عناية عظيمة، حتى قال يوسف بن أسباط رحمه الله: «تخليص النية من فسادها أشد على العاملين من طول الاجتهاد»⁽²⁾.

(1) أخرجه البخاري في صحيحه - بدء الوحي - باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله (1 / 6) برقم: (1)، ومسلم في صحيحه - كتاب الإمارة - باب قوله صلى الله عليه وسلم إنما الأعمال بالنية (6 / 48) برقم: (1907)

(2) حلية الأولياء (121/10)، وجامع العلوم والحكم (1 / 70).

فالنية روح العمل، والعمل بدون نية صالحة كالجسد بلا روح.

المطلب السادس: شمول العبادة لجميع جوانب الحياة.

من خصائص الإسلام أنه لم يحصر العبادة في الشعائر التعبدية المحضة، بل جعل حياة المسلم كلها دائرة بين عبادة وطاعة.

فالمسلم في بيته، وفي سوقه، وفي عمله، وفي تعامله مع الناس، يمكن أن يكون متعبداً لله تعالى إذا التزم أحكام الشرع واستحضر النية الصالحة.

ولهذا كانت العبادة في الإسلام أوسع من مفهومها عند كثير من الأمم؛ إذ تشمل أعمال القلوب والجوارح، والمعاملات والأخلاق، والعلاقات الاجتماعية والاقتصادية.

قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾⁽¹⁾.

فالآية تدل على أن حياة المؤمن كلها ينبغي أن تكون خالصة لله تعالى.

ومن تأمل الشريعة وجد أنها نظمت علاقة العبد بربه، وعلاقته بنفسه، وعلاقته بأسرته، وعلاقته بمجتمعه، وجعلت ذلك كله داخلاً في دائرة العبادة إذا قصد به وجه الله تعالى.

فهذه بعض أنواع العبادة، وكما أسلفت وهي تشمل جميع مجالات الحيات إذا صحت النية. والله تعالى أعلم.

(1) سورة الأنعام: 162

المبحث الثالث: بيان منزلة العبادة من الديانة

فإن للعبادة في الإسلام منزلة عالية ومكانة رفيعة، وهي الغاية التي من أجلها خلق الثقلين- الجن والإنس- وبها ينال العبد رضى الله تبارك وتعالى، والفوز بدخول الجنة.

كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾⁽¹⁾

ويمكن بيان منزلة العبادة من الديانة في النقاط التالية:

1- أمر الله جميع الناس عريهم وعجمهم، أبيضهم وأسودهم، كل الناس من عهد آدم إلى آخر بشر في الدنيا، كلهم أمرهم الله بعبادته مع الإخلاص في العبادة وخلقهم لها.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾⁽²⁾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنْ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ⁽³⁾ والعبادة بمفهومها العام تشمل جميع ما يفعله العبد المؤمن بجوارحه، وما يقوله بلسانه وينويه بقلبه، مما شرعه الله تبارك وتعالى.

2_ أن الله تبارك وتعالى أرسل جميع الرسل من أولهم إلى آخرهم إلى تحقيق العبادة لله تبارك وتعالى، «وأنه ما من أمة متقدمة أو متأخرة إلا وبعث الله فيها رسولا وكلهم متفقون على دعوة واحدة ودين واحد، وهو عبادة الله وحده لا شريك له»⁽⁴⁾

فقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾⁽⁵⁾ وقال: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِيَ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾⁽⁶⁾

3_ أن كل رسول من الرسل افتتح دعوته بالدعاء إلى عبادة الله كقول نوح ومن بعده عليهم السلام كما قال تعالى عن نوح عليه السلام ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَتَقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾⁽⁷⁾

(1) سورة الذاريات: 56

(2) سورة البقرة: 21 - 22

(3) تفسير السعدي (ص: 440).

(4) سورة النحل: 36

(5) سورة الأنبياء: 25

(6) الأعراف: 59

وذلك أن العبادة لله هي الغاية المحبوبة له والمرضية له التي خلق الخلق لها كما قال الله تعالى ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾⁽¹⁾

4_ أن الله تعالى جعل العبادة لازمة لرسوله إلى الموت كما قال تعالى ﴿ وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴾⁽²⁾

5_ أنه وصف ملائكته وأنبياءه بذلك فقال تعالى ﴿ وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴾⁽³⁾ ﴿ يَسْجُدُونَ لِلَّهِ أَلِيلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴾⁽⁴⁾ وقال تعالى ﴿ إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ ﴾⁽⁵⁾

6_ أنه تعالى ذم المستكبرين عنها بقوله ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾⁽⁶⁾

7_ أنه تبارك وتعالى نعت صفوة خلقه بالعبودية له فقال تعالى ﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ﴾⁽⁷⁾ وقال: ﴿ عَيْنَا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴾⁽⁸⁾ وفي هذه النصوص بيان مكانة العبادة ومنزلتها عند الله تبارك وتعالى، وأنه تعالى أمر جميع الناس عريهم وعجمهم، أبيضهم وأسودهم، كل الناس من عهد آدم إلى آخر بشر في الدنيا، كلهم بعبادته مع الإخلاص في العبادة وخلقهم لها، ولعل في هذا كفاية في بيان منزلة العبادة من الديانة. والله تعالى أعلم.

(1) سورة الذاريات: 56

(2) سورة الحجر: 99

(3) سورة الأنبياء: 19 - 20

(4) سورة الأعراف: 206

(5) سورة غافر: 60

(6) سورة الفرقان: 63

(7) سورة الإنسان: 6

(8) ينظر: العبودية، لشيخ الإسلام (ص: 45).

المبحث الرابع: أركان العبادة القلبية

تقوم العبادة على ثلاثة أركان عامة، باجتماعها يحصل كمال العبودية لله تبارك وتعالى. وهذه الأركان هي: المحبة، والرجاء، والخوف، تجب عبادة الله بها مجتمعة دون اهمال واحد منها،

ومن هذه الثلاثة تلتئم العبادة؛ فإن تحققت هذه الثلاثة تحققت العبادة، وإلا فلا: فالحب وحده ليس عبادة؛ لجواز أن يكون الشخص محبوباً، ولا يكون معبوداً؛ لفقدان الخوف والرجاء، أو أحدهما؛ كالولد؛ فإنه محبوب وليس بمعبود. وكذا الخوف وحده ليس عبادة؛ لجواز أن يكون الشخص يخاف منه، ولا يكون معبوداً؛ لعدم تحقق المحبة والرجاء، أو أحدهما؛ كالحاكم مثلاً.

إلا إذا وصل أحد هذه الأركان إلى درجة تليق بالله، كالحب مثلاً يكون عبادة إذا وصل إلى درجة حب الله لقوله تعالى: ﴿يُحِبُّهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ﴾ (1). (2)

الحاصل: أنه لا تتحقق العبادة ما لم تجتمع هذه الأركان الثلاثة.

وقد جمع الله تعالى هذه الأركان الثلاثة في قوله ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾ (3)

فقوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ﴾ إشارة إلى ركنية ((المحبة)). وقوله تعالى: ﴿وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ﴾: دليل على ركنية ((الرجاء)).

وقوله تعالى: ﴿وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ﴾: دليل على ركنية ((الخوف)).

فبا اجتماع هذه الأركان الثلاثة تتحقق ((العبادة)).

فإن لم تتحقق هذه الأركان الثلاثة مجتمعة لم تتحقق ((العبادة)) أصلاً. (4)

«فكما أن العبد يعبد الله تعالى حباله وطمعاً في جنته، ورجاء لما عنده من الثواب والأجر، فإنه

(1) سورة البقرة: 165

(2) ينظر: جهود علماء الحنفية في إبطال عقائد القبرية (326 / 1)

(3) سورة الإسراء: 57

(4) ينظر: جهود علماء الحنفية (326 / 1).

كذلك يعبد تبارك وتعالى خشية له، وحذراً من ناره، وخوفاً من عقابه»⁽¹⁾

والحديث عن هذه الأركان يكون في المطالب التالية:

المطلب الأول: بيان الركن الأول: محبة الله عز وجل:

المراد بها: محبة التعظيم والتذلل والعبادة لله عز وجل، المستلزمة الطاعة المطلقة له تبارك وتعالى، المتضمنة تقديم مراده سبحانه وتعالى على كل شيء.

تعد المحبة أعظم أعمال القلوب، وأصل العبودية وروحها، بل هي الأساس الذي تبنى عليه جميع الطاعات؛ إذ لا يمكن للعبد أن يقبل على عبادة ربه حق الإقبال إلا إذا امتلأ قلبه بمحبة الله سبحانه وتعالى. ولهذا كانت محبة الله من أجل الفرائض القلبية، بل هي أصل الدين الذي تدور عليه جميع الأعمال، فمن فقدوها لم يحقق حقيقة العبودية وإن كثرت أعماله الظاهرة.

وقد دلت الأدلة الشرعية على وجوب محبة الله تبارك وتعالى، وتقديمها على محبة من سواه منها:

قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّوهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾⁽²⁾

وقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ ءَابَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسْكَنٌ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرٍ﴾⁽³⁾.

فهاتان الآيتان تدلان على أن محبة الله أصل الإيمان، وأن تقديم محبة غيره عليها من أعظم أسباب الانحراف.

وقوله ﷺ (ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار)⁽⁴⁾. وهذا الحديث يدل على أن محبة الله ليست دعوى مجردة، وإنما يظهر أثرها في طاعة الله، وامتثال أوامره، وتقديم مرضاته على هوى النفس.

(1) المفيد في مهمات التوحيد، للدكتور عبد القادر عطا (ص: 142).

(2) سورة البقرة: 165

(3) سورة التوبة: 24

(4) أخرجه البخاري في صحيحه - كتاب الإيمان - باب حلاوة الإيمان (1 / 12) برقم: (16)، ومسلم في صحيحه - كتاب الإيمان - باب بيان خصال من اتصف بهن وجد حلاوة الإيمان (1 / 48) برقم: (43).

وقد بين شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله أن حقيقة العبادة تقوم على كمال المحبة مع كمال الذل، وأن أحدهما إذا انفرد عن الآخر لم يكن عبادة؛ فمجرد المحبة التي لا يصحبها خضوع ليست عبادة، كما أن مجرد الخضوع من غير محبة ليس عبادة، وإنما العبادة اجتماع الأمرين جميعاً⁽¹⁾. ولهذا قال ابن القيم رحمه الله: «العبادة تجمع أصلين: غاية الحب بغاية الذل والخضوع»⁽²⁾. ومن تأمل أحوال الأنبياء عليهم السلام وجد أن محبتهم لله كانت هي الدافع الأعظم لطاعتهم وصبرهم على البلاء، كما قال الله تعالى في وصف إبراهيم عليه السلام: ﴿وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾⁽³⁾. والخلة أعلى درجات المحبة.

أنواع المحبة: وللمحبة خمسة أنواع من حيث الحكم:

وباستقراء النصوص الشرعية وكلام أهل العلم، يمكن تقسيم المحبة إلى خمسة أنواع:

النوع الأول: محبة العبادة، وهي المحبة المشتملة على التعظيم والذل، وهذه لا يجوز صرفها إلا لله تعالى، وصرفها لغيره شرك أكبر.

النوع الثاني: المحبة في الله، كمحبة الأنبياء والصالحين وأهل الإيمان، وهذه من أوثق عرى الإيمان.

النوع الثالث: المحبة الطبيعية، كمحبة الوالدين والأولاد والزوجة والطعام والشراب، وهي مباحة ما لم تراحم حق الله تعالى.

النوع الرابع: المحبة المحرمة، وهي محبة المعاصي وأهل الفسوق لما هم عليه من المعصية.

النوع الخامس: المحبة الشركية، وهي مساواة غير الله بالله في المحبة، أو تقديم محبة المخلوق على محبة الله إذا أوجبت ترك طاعته⁽⁴⁾.

ثم إن للمحبة ثلاث مقامات بها تكمل المحبة وهي: التكميل، والتفريع، ودفع الضد.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية في بيان هذه المقامات: «ما يجده المؤمن الواجد حلاوة الإيمان تتبع كمال محبة العبد لله وذلك بثلاثة أمور: تكميل هذه المحبة وتفريقها ودفع ضدها. فتكميلها: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما فإن محبة الله ورسوله لا يكتفى فيها بأصل الحب بل لابد أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما كما تقدم.

(1) العبودية (ص: 38-44)، وينظر: مجموع الفتاوى (149/10).

(2) مدارج السالكين (1/74-76).

(3) سورة النساء: 125

(4) انظر: تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد (ص: 402)، والقول المفيد (2/51).

وتفريقها: أن يحب المرء لا يحبه إلا لله.

ودفع ضدها: أن يكره ضد الإيمان أعظم من كراهته الإلقاء في النار⁽¹⁾

ثمرات محبة الله:

إذا امتلأ القلب بمحبة الله أثمرت آثارا عظيمة، من أهمها:

1- المبادرة إلى الطاعات.

2- استئصال المعاصي.

3- الصبر على البلاء.

4- الرضا بقضاء الله.

5- كثرة ذكر الله.

6- حسن التوكل عليه.

7- الأنس بالله والخلو به.

8- دوام مراقبته.

ولهذا كانت المحبة أصل جميع المقامات الإيمانية، وكلما ازدادت محبة العبد لربه ازداد قربا منه واستقامة على أمره⁽²⁾.

المطلب الثاني: بيان الركن الثاني: الرجاء:

والمراد به: أن يرجو العبد ما عند الله تبارك وتعالى من الأجر والثواب والمغفرة، مع القيام بالأعمال الصالحة، أما الرجاء المجرد عن العمل فليس برجاء بل هو أمن من مكر الله، وهو مذموم. الرجاء عبادة قلبية جليلة، وهو طمع القلب في فضل الله ورحمته مع بذل الأسباب المشروعة، وليس مجرد تمني المغفرة مع الإصرار على المعصية؛ فإن ذلك من الغرور الذي ذمه القرآن.

(1) العبودية لشيخ الإسلام ابن تيمية (ص: 111).

(2) ينظر: مدارج السالكين (32-9/3)، وطريق الهجرتين (ص: 420-450).

وقد أمر الله تعالى عباده بالرجاء في غير ما موضع، فقال سبحانه:

﴿إِنَّهُ لَا يَأْتِسُّ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾⁽¹⁾ وقال سبحانه: ﴿قُلْ يَعْبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾⁽²⁾
 وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾⁽³⁾ وقوله تعالى: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾⁽⁴⁾ وقوله: ﴿مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنْ أَجَلَ اللَّهُ لَاتٍ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾⁽⁵⁾
 وقوله ﷺ فيما يرويه عن ربه تبارك وتعالى: (أنا عند ظن عبدي بي)⁽⁶⁾.
 وقوله ﷺ: (لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بربه)⁽⁷⁾

وهذه النصوص تفيد أن يحسن العبد الظن بربه تبارك وتعالى، لكي لا يصيبه القنوط من رحمة الله أو اليأس من روحه جل وعلا، وكلاهما مذمومين، وتفيد أن هذا الرجاء لا بد أن يصاحب الإيمان والعمل الصالح كما في الآيات السابقة.

فالرجاء يحمل المؤمن على دوام العمل، ويمنعه من اليأس، ويبعثه على حسن الظن بالله مع إحسان العمل.

وقد قرر ابن القيم رحمه الله أن الرجاء المحمود هو الذي يقترن بالطاعة، أما الرجاء مع الإقامة على المعاصي فليس رجاء، وإنما هو غرور وخداع للنفس⁽⁸⁾.

الفرق بين الرجاء والتمني:

ومن المهم التفريق بين الرجاء والتمني؛ فإن كثيرا من الناس يخلط بينهما.

(1) سورة يوسف: 87

(2) سورة الزمر: 53

(3) سورة البقرة: 218

(4) سورة الكهف: 110

(5) سورة العنكبوت: 5

(6) أخرجه البخاري في صحيحه- كتاب التوحيد- باب قول الله تعالى ويحذرکم الله نفسه (9 / 121) برقم: (7405)، ومسلم في صحيحه- كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار- باب الحث على ذكر الله تعالى (8 / 62) برقم: (2675).

(7) أخرجه مسلم في صحيحه- كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها- باب الأمر بحسن الظن بالله تعالى عند الموت (4/2205) برقم: 2877.

(8) ينظر: مدارج السالكين (24-29).

فالرجاء يكون مع العمل الصالح والاجتهاد في الطاعة.

أما التمني فهو انتظار الثواب مع ترك العمل⁽¹⁾.

قال الحسن البصري رحمه الله: «إن قوما ألتهتهم الأمانى حتى خرجوا من الدنيا وما لهم حسنة، وقالوا: نحسن الظن بالله، وكذبوا، ولو أحسنوا الظن لأحسنوا العمل»⁽²⁾.

ثمرات الرجاء

من أعظم ثمراته:

1- حسن الظن بالله.

2- دوام التوبة.

3- النشاط في العبادة.

4- الصبر على الطاعة.

5- الثبات عند الشدائد.

6- عدم القنوط مهما عظمت الذنوب.

فالرجاء الصحيح يورث العمل، ولا يورث الكسل⁽³⁾.

المطلب الثالث: مع الركن الثالث: الخوف:

والمراد به: أن يخاف العبد المؤمن ربه تبارك وتعالى في السر والعلن بأن لا يصيبه بعقاب عاجل في الدنيا، أو أجل في الآخرة، والخوف من الله تبارك وتعالى «من أجل منازل الطريق، وأنفعها للقلب، وهو فرض على كل أحد»⁽⁴⁾

وهذا الخوف لا يجوز تعلقه بغير الله أصلاً؛ لأن هذا من لوازم الإلهية؛ فمن اتخذ مع الله ندا يخافه هذا الخوف، فهو مشرك؛ لأن الخوف عبودية القلب، فلا يصلح إلا لله.

ويتبع هذا الخوف: الخوف مما توعد الله به العصاة في الآخرة، من النكال والعذاب يقول

تعالى: ﴿ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ﴾⁽⁵⁾

(1) المصدر السابق (27/2-29).

(2) أورده ابن القيم في الجواب الكافي (ص:18)، ومدارج السالكين (27/2).

(3) مدارج السالكين (30/2-35).

(4) مدارج السالكين، لابن القيم (548/1)

(5) سورة إبراهيم: 14

وهذا الخوف من أعلى مراتب الإيمان؛ وإنما يكون محموداً إذا لم يوقع في القنوط من رحمة الله، أو اليأس من روحه سبحانه وتعالى.

والمطلوب في هذا الخوف: ما يحجز العبد عن المعاصي، ويبعده عن مخالفة أوامر الله⁽¹⁾.

يقول العلامة ابن القيم رحمه الله: «وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية -قدس الله روحه- يقول: الخوف الحمود: ما حجزك عن محارم الله»⁽²⁾.

الخوف من الله عز وجل من أجل الطاعات، وأنفعها للقلب، وحكمه فرض على كل أحد، قد أمر الله به وجعله شرطاً في تحقيق الإيمان، فهو من أنواع العبادة التي يكون صرفها لغير الله شرك. وقد دلت الأدلة الشرعية على وجوب صرف هذا الخوف لله تبارك وتعالى، منها:

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ، فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا مِنِّي إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾⁽³⁾

وقوله: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنِ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَحْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَن يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾⁽⁴⁾

وقوله تعالى: ﴿فَلَا تَخْشَوُا النَّكَاسَ وَآخِشُون﴾⁽⁵⁾

وقوله: ﴿وَلَمَن خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ﴾⁽⁶⁾

وفي هذه الآيات بيان وجوب الخوف من الله تبارك وتعالى، وأنه شرط في تحقيق الإيمان، وفيها المدح والثناء على من تعبد الله هذا الركن، وبيان جزاءه.

فليس المقصود بالخوف مجرد الانفعال القلبي، وإنما أثره العملي، وهو ترك المعاصي، والمصارعة إلى الطاعات.

(1) ينظر: المفيد في مهمات التوحيد (ص: 101).

(2) مدارج السالكين (1/ 55).

(3) سورة آل عمران: 175

(4) سورة التوبة: 18

(5) سورة المائدة: 44

(6) سورة الرحمن: 46

أنواع الخوف:

وللخوف أربعة أنواع من حيث الحكم:

النوع الأول: الخوف الواجب (خوف العبادة) وضابطه «ما حجزك عن معاصي الله»⁽¹⁾

النوع الثاني: الخوف الجائز (خوف طبيعي) كالخوف من سباع أو من عدو أو الحريق ونحو ذلك وهو

مباح، ومنه خوف موسى عليه السلام في قوله تعالى: ﴿فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ﴾⁽²⁾

وهذا الخوف «إن كان خوفاً محققاً قد انعقدت أسبابه، وأما إن كان الخوف وهمياً: كالخوف

الذي ليس له سبب أصلاً، أو له سبب ضعيف فهذا مذموم يدخل صاحبه في وصف الجبناء»⁽³⁾

النوع الثالث: الخوف المحرم: وضابطه: كل خوف يؤدي إلى ترك واجب، أو فعل محرم دون الشرك.

النوع الرابع: الخوف الشرطي: وهذا له صورتان:

أ_ خوف السر: وضابطه: الخوف من الميت أو الغائب، بسبب تعظيمه له، كالخوف من الأولياء والأصنام وأصحاب القبور.

ب_ الخوف من المخلوق في شيء من خصائص الخالق: مثل: قطع الرزق، أو إدخال نار الآخرة.

فائدة: الفرق بين الخوف والخشية:

الخشية نوع من الخوف، لكنها أخص منه، والفرق بينهما:

1- أن الخشية تكون مع العلم بالمخشي وحاله؛ لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾⁽⁴⁾ والخوف قد يكون من جاهل.

2- أن الخشية تكون بسبب عظمة المخشي، بخلاف الخوف فقد يكون لضعف الخائف⁽⁵⁾.

ثمرات الخوف:

من ثمراته:

1- البعد عن الذنوب.

2- محاسبة النفس.

(1) مدارج السالكين (372/2). نقله ابن القيم عن شيخه ابن تيمية رحمهما الله رحمة واسعة.

(2) سورة القصص: 18

(3) القول السديد، لعبد الرحمن السعدي (ص: 132).

(4) سورة فاطر: 28

(5) ينظر: القول المفيد، لابن عثيمين (73/2).

3- المبادرة إلى التوبة.

4- تعظيم أوامر الله.

5- سلامة القلب من الغرور.

6- دوام الاستقامة.

ولذلك كان السلف يجمعون بين الخوف والرجاء، فلا يطفى أحدهما على الآخر، حتى تتحقق العبودية الكاملة.

المطلب الرابع: العلاقة بين أركان العبادة:

هناك علاقة بين أركان العبادة الثلاثة، المحبة، الرجاء، الخوف.

المحبة تتضمن الرجاء، وذلك أن الرجاء يكون حسب المحبة وقوتها، فكل محب راج بالضرورة؛ لأن محبته لله تبارك وتعالى تحمله على أن يرجو ما عنده تبارك وتعالى.

والخوف والرجاء بينهما تلازم، فالخوف مستلزم للرجاء، والرجاء مستلزم للخوف؛ وذلك أن كل راج خائف، وكل خائف راج، فكل راج خائف من فوات مرجوه، وكل خائف يرجو عفو ربه ومغفرته، والخوف بلا رجاء يعتبر يأساً من روح الله وقتنوطاً من رحمته⁽¹⁾

الخوف والرجاء جناحا الأسباب الناهضة للعبد إلى طاعة مولاه جل وعلا.

وهما-مع المحبة- يحصل كمال العبودية لله عز وجل، وهذه هي أركان العبادة، وبها تستقيم الأعمال الظاهرة والباطنة.

وقد جمعها الله سبحانه وتعالى في قوله: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ

أَقْرَبَ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾⁽²⁾

قال شيخ الإسلام رحمه الله: «اعلم أن محركات القلوب إلى الله عز وجل ثلاثة: المحبة والخوف والرجاء. وأقواها المحبة... فالمحبة تلقى العبد في السير إلى محبوبه وعلى قدر ضعفها وقوتها يكون سيره إليه والخوف يمنعه أن يخرج عن طريق المحبوب والرجاء يقوده فهذا أصل عظيم يجب على كل عبد أن يتنبه له فإنه لا تحصل له العبودية بدونه»⁽³⁾.

(1) ينظر: مدارج السالكين (44/2، 53/2).

(2) سورة الإسراء: 57

(3) مجموع الفتاوى (1/ 95).

وقال في موضع آخر: «فما حفظت حدود الله ومجارمه ووصل الواصلون إليه بمثل خوفه ورجائه ومحبته فمتى خلا القلب من هذه الثلاث فسد فساداً لا يرجى صلاحه أبداً ومتى ضعف فيه شيء من هذه ضعف إيمانه بحسبه»⁽¹⁾.

فتبين من هذا العرض الموجز أن العبادة التي فرضها الله على عباده لا بد فيها من كمال الذل لله والخضوع له والخوف منه، مع كمال الحب وغايته، والرغبة إليه ورجائه. والمحبة وحدها التي لم يكن معها خوف ولا تذلل - كمحبة الطعام والمال - ليست بعبادة، وكذلك الخوف بدون محبة - كالخوف من حيوان مفترس - لا يعدّ عبادة، فإذا اجتمع الخوف والحب في العمل كان عبادة، والعبادة لا تكون إلا لله وحده. والله تعالى أعلى وأعلم.

(¹) نفس المصدر (21 / 15).

المبحث الخامس: مذاهب الناس في أركان العبادة، وبيان المذهب الحق في ذلك والرد على المخالفين

قبل الحديث عن مذاهب الناس في أركان العبادة، يحسن التنبيه إلى أن الانحراف في هذا الباب لم يكن ناشئاً عن إنكار أصل العبادة، وإنما كان بسبب الغلو أو التقيصير في بعض أركانها؛ فإن نصوص الوحي جاءت بإقامة العبودية على المحبة والخوف والرجاء جميعاً، وجعلت كمال الإيمان في اجتماعها وتوازنها.

ولما أعرضت بعض الفرق عن هذا المنهج، وغلبت جانباً على آخر، نتج عن ذلك انحراف في الاعتقاد والسلوك، وظهرت آثار ذلك في باب الإيمان والأسماء والأحكام والوعد والوعيد. ولهذا اعتنى علماء أهل السنة بهذا الباب عناية عظيمة، وعدّوه من أصول الاعتقاد؛ لما يترتب عليه من سلامة العبادة وصحة التوحيد.

ذكرت فيما سبق أن العبادة تقوم على ثلاثة أركان عامة، باجتماعها يحصل كمال العبودية لله تبارك وتعالى.

وهذه الأركان هي: المحبة، والرجاء، والخوف، تجب عبادة الله بها مجتمعة دون إهمال واحد منها، «فكما أن العبد يعبد الله تعالى بحاله وطمعاً في جنته، ورجاء لما عنده من الثواب والأجر، فإنه كذلك يعبد تبارك وتعالى خشية له، وحذراً من ناره، وخوفاً من عقابه»⁽¹⁾

يقول الشيخ محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله - في تفسير قوله تعالى ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾⁽²⁾

هذه الآيات الثلاث تضمنت ثلاث مسائل:

الآية الأولى: فيها المحبة، لأن الله منعم، والمنعم يُحبُّ على قدر إنعامه.

والمحبة تنقسم على أربعة أنواع:

محبة شركية، وهم الذين قال الله فيهم: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّوهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾⁽³⁾. الآيات.

المحبة الثانية: حب الباطل وأهله، وبغض الحق وأهله، وهذه صفة المنافقين.

(1) المفيد في مهمات التوحيد، للدكتور عبد القادر عطا (ص: 142).

(2) سورة الفاتحة: 1 - 2 - 3

(3) سورة البقرة: 165

المحبة الثالثة: طبيعية وهي محبة المال والولد، إذا لم تشغل عن طاعة الله، ولم تكن على محارم الله فهي مباحة.

والمحبة الرابعة: حب أهل التوحيد، وبغض أهل الشرك وهي أوثق عرى الإيمان، وأعظم ما يعبد به العبد ربه.

الآية الثانية: فيها الرجاء.

والآية الثالثة: فيها الخوف. فقلوه: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ أي: أعبدك يا رب بما مضى بهذه الثلاث: بمحبتك، ورجائك، وخوفك؛ فهذه الثلاث أركان العبادة، وصرفها لغير الله شرك.

وفي هذه الثلاث الرد على من تعلق بواحدة منهن، كمن تعلق بالمحبة وحدها، أو تعلق بالرجاء وحده، أو تعلق بالخوف وحده؛ فمن صرف منها شيئاً لغير الله فهو مشرك.

و من فوائدها الرد على الثلاث الطوائف التي كل طائفة تتعلق بواحدة منها، كمن عبد الله تعالى بالمحبة وحدها، وكذلك من عبد الله بالرجاء وحده كالمرجئة، وكذلك من عبد الله بالخوف وحده كالخوارج⁽¹⁾.

وقد انقسم الناس في أركان العبادة إلى أربعة مذاهب:

الحديث عن هذه المذاهب يكون انطلاقة من قول السلف رحمهم الله تعالى وهو «أن من عبد الله بالحب وحده فهو زنديق، ومن عبده بالرجاء وحده فهو مرجئ، ومن عبده بالخوف وحده فهو حروري، ومن عبده بالحب والرجاء والخوف فهو مؤمن موحد»⁽²⁾

أولاً: مذهب أهل السنة والجماعة:

يرى أهل السنة والجماعة أن العبودية لا تتحقق إلا باجتماع المحبة والخوف والرجاء، وأن هذه الأركان الثلاثة متلازمة، يكمل بعضها بعضاً، ولا يجوز إفراد واحد منها دون الآخر.

فالؤمن يعبد ربه حباً له، وتعظيماً لجلاله، ورجاءً لرحمته وثوابه، وخوفاً من عقابه، امتثالاً للنصوص الشرعية التي جمعت بين الوعد والوعيد، والترغيب والترهيب.

وقد وصف الله تعالى أنبياءه بقوله: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَا رَعَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَشِيعِينَ﴾⁽³⁾

(1) ينظر: مجموعة رسائل في التوحيد والإيمان ضمن مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب (1/ 383).

(2) العبودية (ص: 112).

(3) سورة الأنبياء: 90

قال ابن كثير رحمه الله: «جمع الله لهم بين الرغبة والرغبة؛ لأن العبد لا يستقيم سيره إلى الله إلا بهما»⁽¹⁾.

ولهذا كان أهل السنة وسطاً بين جميع الفرق، فلم يغلبوا جانب الرجاء حتى يأمنوا مكر الله، ولم يغلبوا جانب الخوف حتى يقنطوا من رحمته، ولم يجعلوا المحبة مجرد دعوى تخلو من العمل. ويقول ابن القيم رحمه الله: «القلب في سيره إلى الله بمنزلة الطائر، فالمحبة رأسه، والخوف والرجاء جناحاه»⁽²⁾.

وهذا التشبيه من أجمع ما قيل في هذا الباب؛ لأنه يبين أن اختلال أحد الأركان يؤثر في سير العبد إلى الله تعالى.

أهل السنة والجماعة يعبدون الله تبارك وتعالى بأركان العبادة الثلاثة مجتمعة، ولا يغفلون أي ركن منها، وهم يوازنون بينها، بحيث لا يطغى جانب منها على الآخر، فكما أن العبد يعبد الله تعالى بحاله وطمعه في جنته، ورجاء لما عنده من الثواب والجر، فإنه كذلك يعبد تبارك وتعالى خشية له، وحذراً من ناره، وخوفاً من عقابه.

وهذا هو المذهب الحق، والذي تدل عليه النصوص عند التأمل فيها.

يقول الإمام ابن القيم: «القلب في سيره إلى الله عز وجل بمنزلة الطائر، فالمحبة رأسه، والخوف والرجاء جناحاه، فمتى سلم الرأس والجناحان فالطائر جيد الطيران، ومتى قطع الرأس مات الطائر، ومتى فقد الجناحان فهو عرضة لكل صائد وكاسر»⁽³⁾.

ثانياً: مذهب الحرورية الخوارج:

لقد كان سبب نشأة مذهب الخوارج الغلو في نصوص الوعيد، وذلك أنه غلب عليهم جانب الخوف، فأدى ذلك بهم إلى التشديد في باب الإيمان، والحكم على مرتكب الكبيرة بالكفر والخلود في النار.

ولم يكن خطؤهم في تعظيم الخوف؛ فإن الخوف عبادة عظيمة، وإنما كان الخطأ في إلغاء النصوص الدالة على سعة رحمة الله ومغفرته، وعدم الجمع بين أدلة الوعد والوعيد.

ولهذا قال أهل العلم إن الخوارج أخذوا ببعض النصوص وتركوا بعضها، فضلوا بذلك عن سواء السبيل.

(1) تفسير ابن كثير (5/365).

(2) مدارج السالكين (1/561).

(3) المصدر السابق (1/513).

وهم قد غلوا في الركن الثالث -الخوف- فعبدوا الله بالخوف، وغلّبوا نصوص الوعيد على نصوص الوعد، فنتج عن هذا أنهم اعتقدوا في مرتكب الكبيرة أنه فاقد للإيمان، قالوا: الناس ليس إلا مؤمن وكافر، فإن لم يكن مؤمناً فهو كافر ومن ثم كفروا أصحاب الكبائر، فاستباحوا بذلك الدماء والأموال، وحكموا عليهم بدخولهم النار والخلود فيها، وأصل شبهتهم «أنهم ظنوا أن الشخص الواحد لا يكون مستحقاً للثواب والعقاب، والوعد والوعيد، والحمد والذم، بل إما لهذا وإما لهذا، فأحبطوا جميع حسناته بالكبيرة التي فعلها»⁽¹⁾

ولا شك أن هذا المذهب يجانب الصواب، وهو نتيجة تغلبهم جانب خوف على الرجاء، بل الحق الذي عليه أهل السنة والجماعة، ودلت عليه النصوص أن مرتكب الكبيرة مسلم فاسق لم يخرج بمعصيته من دين الإسلام، وليس هو مؤمناً كاملاً بالإيمان، بل مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته، وأن المؤمن «وإن أذنب ذنباً كثيرة، صغائر وكبائر؛ فإنه لا يكفر بها، وإن خرج عن الدنيا غير تائب منها، ومات على التوحيد والإخلاص فأمره إلى الله»⁽²⁾

وقد رد عليهم أهل السنة بأن مرتكب الكبيرة لا يخرج من الإسلام ما لم يستحلها، وأنه تحت مشيئة الله تعالى، إن شاء عذبه وإن شاء غفر له.

يقول الإمام الطحاوي «ولا نكفر أحداً من أهل القبلة بذنب ما لم يستحل»⁽³⁾

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية في وصف معتقد أهل السنة: «وهم مع ذلك لا يكفرون أهل القبلة بمطلق المعاصي والكبائر، كما يفعله الخوارج، بل الأخوة الإيمانية باقية مع المعاصي»⁽⁴⁾.

فتبين من هذه النقول وغيرها مما قد يصعب حصره من كلام أهل السنة، اتفاق أهل السنة على أن مرتكب الكبيرة لا يكفر كفراً ينقل من الملة بالكلية، كما قالت الخوارج، وبناء على هذا فحكمه عند أهل السنة حكم سائر المسلمين في عصمة الدم والمال.

وهذا نتيجة تعبدهم الله بأركان العبادة الثلاثة مجتمعة.

ومن آثار هذا الانحراف عند الخوارج: التكفير بغير حق، واستباحة الدماء، والغلو في الأحكام، وتحجير رحمة الله التي وسعت كل شيء.

وكل ذلك ثمرة الإخلال بالتوازن بين خوف والرجاء.

والله تعالى أعلم.

(1) مجموع الفتاوى (471/12).

(2) عقيدة السلف وأصحاب الحديث، للصابوني (ص: 276).

(3) العقيدة الطحاوية مع شرحها لابن أبي العز (ص: 432).

(4) مجموع الفتاوى (151/3).

ثالثاً: مذهب المرجئة:

الإرجاء هو تأخير العمل عن مسمى الإيمان، وأن العمل ليس من الإيمان.

وفي المقابل غلب المرجئة نصوص الوعد على نصوص الوعيد، حتى أفرطوا في الرجاء، وأخرجوا العمل عن حقيقة الإيمان عند كثير من طوائفهم.

فترتب على ذلك التهوين من شأن الذنوب، وضعف الدافع إلى الطاعة، والاعتزاز بسعة رحمة الله دون القيام بأسبابها.

المرجئة -غالية المرجئة- عبدوا الله بالرجاء، وغلبوا نصوص الوعد على نصوص الوعيد، وأن نصوص الوعد قد تتناول كثيراً من أهل الكبائر، فدل على أنهم في الجنة.

ونصوص الوعيد لا تتناول إلا كافراً فدل على أنه لا يعذب إلا كافراً، فكان قولهم في الوعد والوعيد يتمشى مع عقيدتهم في مرتكب الكبيرة، وتعبدتهم الله بالرجاء المجرد عن الخوف، فتتج عن هذا المعتقد الفاسد أن جعلوا مرتكب الكبيرة مؤمناً كاملاً بالإيمان، وهم يقطعون لعامة المسلمين بالإيمان، وأن الدار دار إيمان، وبينون على ذلك سائر الأحكام.⁽¹⁾ والمرجئة قد غلوا في الركن الثاني -الرجاء- حتى عطلوا العمل بالشرع.

ويعتقدون أن مرتكب الكبيرة في الجنة، ولا يدخل أحد منهم النار، وإن فعل ما فعل من الذنوب، وأن «من قال: لا إله إلا، محمد رسول الله ﷺ وحرّم ما حرّم الله، وأحلّ ما أحلّ الله، دخل الجنة، وإن زنى وإن سرق وقتل وشرب الخمر وقذف المحصنات، وترك الصلاة والزكاة والصيام، إذا كان مقراً بها يسوف التوبة لم يضره وقوعه على الكبائر وتركه للفرائض»⁽²⁾

وهذا المذهب فاسد كسابقه، فإن مرتكب الكبيرة في الآخرة تحت مشيئة الله تبارك وتعالى، إن شاء عذبه بعدله، وإن شاء غفر له برحمته وفضله.

يقول الإمام الطحاوي «وأهل الكبائر من أمة محمد صلى الله عليه وسلم في النار لا يخلدون، إذا ماتوا وهم موحدون، وإن لم يكونوا تائبين، بعد أن لقوا الله عارفين. وهم في مشيئته وحكمه، إن شاء غفر لهم وعفا عنهم بفضل، كما ذكر عز وجل في كتابه: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾⁽³⁾ وإن شاء عذبهم في النار بعدله، ثم يخرجهم منها برحمته وشفاعته الشافعين

(1) انظر: مجموع الفتاوى (7/ 191,199).

(2) التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع، للملطي (ص: 57).

(3) سورة النساء: 48

من أهل طاعته، ثم يبعثهم إلى جنته. وذلك بأن الله تعالى تولى أهل معرفته، ولم يجعلهم في الدارين كأهل نكرته⁽¹⁾.

حكم تكب الكبيرة يوم القيامة تحت مشيئة الله، إن شاء عذبه، وإن شاء غفر له، وإن أدخله النار فإنه لا يخلده فيها، بل مآله إلى الجنة بعد استيفاء عقوبته.

رابعاً: مذهب الزنادقة وغلاة الصوفية:

غلا بعض المنتسبين إلى التصوف في جانب المحبة، حتى جعلوا العبادة قائمة عليها وحدها، وزعم بعضهم أنه لا يعبد الله خوفاً من النار ولا طمعاً في الجنة.

وهذه الدعوى مخالفة لصريح القرآن؛ فإن الله تعالى أثنى على أنبيائه بجمعهم بين الرغبة والرغبة، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا﴾⁽²⁾

فلو كانت المحبة وحدها هي الكمال، لكان الأنبياء أولى الناس بها دون غيرها.

كما أن محبة الله الحق تقتضي امتثال أوامره واجتناب نواهيه، وليست مجرد دعوى قلبية.

قال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾⁽³⁾

فجعل علامة المحبة صدق الاتباع، لا مجرد الدعوى.

وينبغي التنبيه إلى أن هذا النقد إنما يتوجه إلى غلاة الصوفية الذين خالفوا نصوص الوحي وخرجوا عن منهج أهل السنة، أما من انتسب إلى التصوف مع التزامه بالكتاب والسنة في أصول الاعتقاد والعبادة، فلا يدخل في هذا الحكم.

والحقيقة أن هؤلاء الصوفية الذين يقولون: نحن نعبد الله بالحب فقط لا خوفاً منه ولا رجاء منه ولا طمعاً في الجنة ولا مخافة من النار، هم من الزنادقة الملاحدة الحلولية الاتحادية... الزنادقة وغلاة الصوفية غلوا في الركن الأول - المحبة - نحن نعبد الله بالحب فقط لا خوفاً منه ولا رجاء منه ولا طمعاً في الجنة ولا مخافة من النار.

«فكما أن العبد يعبد الله تعالى بحاله وطمعاً في جنته، ورجاء لما عنده من الثواب والأجر، فإنه كذلك يعبد تبارك وتعالى خشية له، وحذراً من ناره، وخوفاً من عقابه»⁽⁴⁾.

(1) الطحاوية وع شرحها لابن أبي العز (ص: 524).

(2) سورة الأنبياء: 90

(3) سورة آل عمران: 31

(4) المفيد في مهمات التوحيد، للدكتور عبد القادر عطا (ص: 142).

فمن عبد الله بالحب وحده، لا رجاء الجنة ولا خوفاً من النار كالصوفية القائلين:
(لا مقصود إلا الله) فهو زنديق.

وكثير من السالكين سلكوا في دعوى حب الله أنواعاً من أمور الجهل بالدين: إما من تعدي حدود الله وإما من تضييع حقوق الله وإما من ادعاء الدعاوى الباطلة التي لا حقيقة لها كقول بعضهم: أي مريد لي ترك في النار فأنا بريء منه، فقال الآخر: أي مريد لي ترك أحداً من المؤمنين يدخل النار فأنا منه بريء⁽¹⁾.

ولهذا قد وجد في المتأخرين من انبسط في دعوى المحبة حتى أخرجه ذلك إلى نوع من الرعونة والدعوى التي تتألف في العبودية وتدخل العبد في نوع من الربوبية التي لا تصلح إلا لله فيدعي أحدهم دعاوى تتجاوز حدود الأنبياء والمرسلين أو يطلب من الله ما لا يصلح بكل وجه إلا لله لا يصلح للأنبياء ولا للمرسلين، وهذا عين الضلال وشبيهه بقول اليهود والنصارى⁽²⁾.

يقول شيخ الإسلام تقي الدين ابن تيمية: «وهذا باب وقع فيه كثير من الشيوخ، وسببه ضعف تحقيق العبودية التي بينها الرسل، وحررها الأمر والنهي الذي جاءوا به، بل ضعف العقل الذي به يعرف العبد حقيقته، وإذا ضعف العقل وقص العلم بالدين وفي النفس محبة طائشة جاهلة، انبسطت النفس بحمقها في ذلك كما ينبسط الإنسان في محبة الإنسان مع حمقه وجهله ويقول: أنا محب فلا أؤاخذ بما أفعله من أنواع يكون فيها عدوان وجهل فهذا عين الضلال وهو شبيهه بقول اليهود والنصارى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبُّوا إِلَهُهُ﴾ قال الله تعالى: ﴿قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ يَغْفِر لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ ۚ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾⁽³⁾ فإن تعذيبه لهم بذنوبهم يقتضي أنهم غير محبوبين ولا منسوبين إليه بنسب البنوة بل يقتضي أنهم مربوبون مخلوقون.

فمن كان الله يحبه استعمله فيما يحبه ومحبوبه لا يفعل ما يبغضه الحق ويسخطه من الكفر والفسوق والعصيان.

ومن فعل الكبائر وأصر عليها ولم يتب منها فإن الله يبغض منه ذلك كما يحب منه ما يفعله من الخير إذ حبه للعبد بحسب إيمانه وتقواه⁽⁴⁾.

(1) ينظر: العبودية (ص: 114).

(2) ينظر: المصدر السابق (ص: 113).

(3) سورة المائدة: 18

(4) ينظر: العبودية لابن تيمية (ص: 112).

فتبين من خلال هذا العرض الموجز أن الحق في هذا الباب هو ما عليه أهل السنة والجماعة، وأنهم يعبدون الله عز وجل بأركان العبادة الثلاثة مجتمعة، ولا يغفلون أي ركن منها، كما فعلته الخوارج والمرجئة والزنادقة، بل يوازنون بينها، بحيث لا يطفئ جانب منها على الآخر، فكما أن المسلم يعبد الله عز وجل حباً له وطمعاً في جنته، ورجاءً لثوابه، فإنه كذلك يعبد تبارك وتعالى خشية له، وخوفاً من عقابه.

أما الموازنة بين المذاهب وبيان المذهب الحق، فمن خلال ما سبق يتبين أن الفرق الثلاث إنما انحرفت بسبب إخلالها بالتوازن الذي جاءت به الشريعة.

فالخوارج غلبوا الخوف، والمرجئة غلبوا الرجاء، وغلاة الصوفية غلبوا المحبة.

أما أهل السنة والجماعة فقد جمعوا بين المحبة والخوف والرجاء، فكانوا بذلك أقرب الناس إلى هدي القرآن والسنة.

ولهذا فإن الميزان الصحيح في باب العبادة هو أن يعبد المسلم ربه محبةً له، وتعظيماً لجلاله، ورجاءً لثوابه، وخوفاً من عقابه.

والله تعالى أعلم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين...

والحمد لله رب العالمين.

الخاتمة

في ختام هذا البحث ، أحمد الله تبارك وتعالى على نعمه الجزيلة ، التي من جملتها ما منَّ به من ختام هذا البحث المختصر في (أركان العبادة)؛ حيث اشتمل على مباحث مفيدة في هذا الباب العظيم ، وها أنا قد وصلت إلى ختمه ونهايته موضعاً أهم ما توصلت إليه من نتائج والتي يكمن إبرازها بإذن الله في النقاط التالية:

- 1- ثبت من خلال البحث أن حقيقة العبادة في الإسلام تقوم على كمال الذل لله تعالى مع كمال المحبة له ، والانقياد لأوامره واجتنب نواهيه.
- 2- دلّت النصوص الشرعية على أن قبول العبادة لا يتحقق إلا باجتماع ثلاثة شروط: الإسلام ، والإخلاص لله تعالى ، والمتابعة للنبي ﷺ.
- 3- العبادة في الإسلام مفهوم شامل لا يقتصر على الشعائر التعبدية ، بل يشمل جميع أقوال العبد وأعماله الظاهرة والباطنة إذا قصد بها وجه الله تعالى.
- 4- تنوع العبادات في الشريعة الإسلامية دليل على رحمة الله بعباده ، وشمول هذا الدين لجميع جوانب الحياة.
- 5- تبين أن أركان العبادة الثلاثة: المحبة ، والخوف ، والرجاء ، متلازمة ، ولا تتحقق العبودية الكاملة إلا باجتماعها.
- 6- المحبة هي أصل العبادة ، والخوف يحجز العبد عن المعاصي ، والرجاء يدفعه إلى المسابقة في الطاعات ، وتوازنها تستقيم عبودية المسلم.
- 7- الغلو في أحد أركان العبادة سبب رئيس لانحراف الفرق ، كما ظهر في الخوارج والمرجئة وغلاة الصوفية.
- 8- منهج أهل السنة والجماعة يقوم على الجمع بين نصوص الوعد والوعيد وتحقيق التوازن بين المحبة والخوف والرجاء.
- 9- أظهر البحث أن الانحراف في فهم حقيقة العبادة يؤدي إلى انحرافات عقدية وسلوكية تؤثر في تصور المسلم للإيمان والعمل.
- 10- أكدت الأدلة الشرعية أن صرف أي نوع من أنواع عبادة لغير الله تعالى ينافي كمال التوحيد ، وقد يصل بصاحبه إلى الشرك بحسب نوع العبادة المصروفة.
- 11- تبين أن تحقيق أركان العبادة الثلاثة من أعظم أسباب الثبات على الدين ، وصلاح القلب ، واستقامة السلوك.
- 12- يظهر من مجموع الأدلة أن تحقيق العبادة على منهج السلف الصالح هو الطريق الأمثل لحفظ العقيدة من الغلو والجفاء والانحراف.

- 13- أثبت البحث أن العبادة ليست غاية فردية فحسب، بل لها آثار عظيمة في تزكية النفوس، وإصلاح المجتمعات، وتحقيق الأمن والاستقرار، والثبات أمام الفتن.
- 14- تبين أن جميع مقاصد الشريعة تدور حول تحقيق العبودية لله تعالى، وأن كلما كان المسلم أكمل عبادةً لربه كان أقرب إلى تحقيق مصالح الدين والدنيا والآخرة.

قائمة المصادر والمراجع

- ❖ أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، للشيخ محمد الأمين الشنقيطي (ت: 1393هـ). الطبعة: الثانية، 1400هـ.
- ❖ التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع، لأبي الحسين محمد بن أحمد الملطي العسقلاني (ت: 377هـ). تحقيق: محمد زاهد بن الحسن الكوثري- المكتبة الأزهرية للتراث-
- ❖ تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد، للشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب (ت: 1233هـ). تحقيق: زهير الشاويش- المكتب الاسلامي، بيروت، دمشق- الطبعة: الأولى، 1423هـ.
- ❖ تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (ت: 1376هـ). تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق- مؤسسة الرسالة- الطبعة: الأولى، 1420هـ.
- ❖ حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، لأبي نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد الأصبهاني (ت: 430هـ). - السعادة- بجوار محافظة مصر، 1394هـ.
- ❖ شرح العقيدة الطحاوية، لمحمد بن علاء الدين ابن أبي العز الحنفي (ت: 792هـ). تحقيق: شعيب الأرنؤوط - عبد الله بن المحسن التركي- مؤسسة الرسالة - بيروت- الطبعة: العاشرة، 1417هـ.
- ❖ شرح القصيدة النونية، للدكتور محمد خليل هراس (ت: 1975م). دار الكتب العلمية- بيروت- الطبعة الثانية 1415هـ.
- ❖ صحيح البخاري للإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري (ت 256هـ). تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر- دار طوق النجاة بيروت- الطبعة: الأولى، 1422هـ.
- ❖ صحيح مسلم للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج، القشيري (ت 261هـ). تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، - دار إحياء التراث العربي بيروت، دار طيبة- الطبعة: الأولى، 1427هـ.
- ❖ عقيدة السلف أصحاب الحديث، للإمام أبي عثمان إسماعيل بن عبد الرحمن الصابوني (ت: 339هـ). تحقيق: الدكتور ناصر الجديع- دار العاصمة-الرياض. الطبعة: الثانية، 1419هـ.
- ❖ القول المفيد على كتاب التوحيد، للعلامة محمد بن صالح بن محمد العثيمين (ت: 1421هـ).- دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية- الطبعة: الثانية، 1424هـ.
- ❖ الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية (القصيدة النونية) للإمام ابن قيم الجوزية (ت: 751هـ). تحقيق: علي بن حسن الحلبي- دار ابن الجوزي- الطبعة: الأولى، 1425هـ.
- ❖ مجموع فتاوى تقي الدين شيخ الإسلام ابن تيمية الحراني (ت728هـ). جمع وتحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم- طبعة مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة

- العربية السعودية- الطبعة الأولى: 1416هـ.
- ❖ مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، لشمس الدين ابن قيم الجوزية (ت: 751هـ). تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي- دار الكتاب العربي- بيروت- الطبعة: الثالثة، 1416 هـ.
- ❖ العبودية، لشيخ الإسلام ابن تيمية الحراني (ت 728هـ). تحقيق: محمد زهير الشاويش- المكتب الإسلامي - بيروت- الطبعة السابعة المجددة 1426هـ.
- ❖ أساس البلاغة، لأبي القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: 538هـ). طبعة دار الفكر- بيروت- لبنان، 1409هـ.
- ❖ مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين، لمحمد بن صالح بن محمد العثيمين (ت 1421هـ). جمع وترتيب: فهد بن ناصر بن إبراهيم السليمان، دار الوطن - دار الثريا- الطبعة: الأخيرة - 1413 هـ.
- ❖ مجموعة رسائل في التوحيد والإيمان (مطبوع ضمن مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب، الجزء الأول) للإمام محمد بن عبد الوهاب (ت 1206هـ). تحقيق: إسماعيل بن محمد الأنصاري. جامعة الإمام محمد بن سعود، الرياض، المملكة العربية السعودية.
- ❖ القول السديد شرح كتاب التوحيد، لعبد الرحمن بن ناصر آل سعيدي (ت 1376هـ). وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثانية، 1421هـ.
- ❖ جهود علماء الحنفية في إبطال عقائد القبور، لشمس الدين الأفغاني (ت 1420هـ). دار الصميعي (أصل هذا الكتاب رسالة دكتوراة من الجامعة الإسلامية) الطبعة: الأولى - 1416 هـ.
- ❖ 1 مفيد في مهمات التوحيد، للدكتور عبد القادر بن محمد عطا صوفي، دار أضواء السلف- الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى- 1428هـ.
- ❖ الاستقامة، لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، تحقيق: محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة: الأولى، (1403 هـ).
- ❖ طريق الهجرتين وباب السعادتين، لشمس الدين محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد أجمل الإصلاحي، دار عالم الفوائد، الطبعة: الرابعة، 1440 هـ.
- ❖ إغاثة اللهفان من مصاديد الشيطان، لابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار عالم الفوائد، الطبعة: الثالثة، 1440 هـ.
- ❖ شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، لابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد بدر الدين النعساني، دار المعرفة، الطبعة: الثالثة، 1440 هـ.

- ❖ جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم، للحافظ ابن رجب الحنبلي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، الطبعة: السابعة، 1417 هـ.
- ❖ الموافقات، لأبي إسحاق الشاطبي، تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان، الطبعة: الأولى، 1417 هـ.
- ❖ الاعتصام، لأبي إسحاق الشاطبي، تحقيق: سليم بن عيد الهلالي، دار ابن عفان، الطبعة: الأولى، 1417 هـ.



مجلة الأندلس للعلوم الإنسانية والاجتماعية

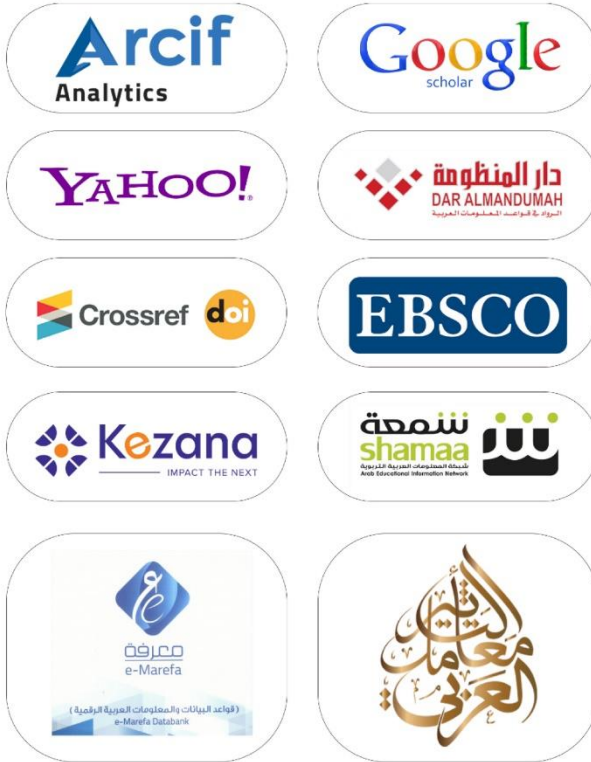
مجلة دولية شهرية علمية محكمة

الترقيم الدولي الإلكتروني: ISSN:2410- 521X

الترقيم الدولي الورقي: ISSN:2410- 1818

البريد الإلكتروني: journal@andalusuniv.net

المجلة مفهرسة في المواقع الآتية :



2025	2024	2023	2022	2021	العام
0.5978	0.3068	0.3759	0.1954	0.2692	معامل أرسيف
1.59	1.55	1.25	1.73	1.60	معامل التأثير العربي